الفصـــل الأول

مقدمة فى الأمراض النفسية الاجتماعية

تعريف الأمراض النفسية الاجتماعيـــــة
العلوم التى تهتم بدراسة الأمراض النفسية الاجتماعية
أسباب الأمراض النفسيـــــة الاجتماعيـــة
أعراض الأمراض النفسيـــة الاجتماعيـــة
الوقاية من الأمراض النفسية الاجتماعية
علاج الأمراض النفسيـــــة الاجتماعيـــة

الفصل الأول

مقدمة فى الأمراض النفسية الاجتماعية

تعريف الأمراض النفسية الاجتماعية :

الأمراض النفسية الاجتماعية Psychosocial Pathology هى مجموعة من الأمراض والاضطرابات السلوكية ذات الأعراض والأسباب والآثار النفسية الاجتماعية . **ومن أمثلتها** : العدوان ، والإدمان ، والاغتراب ، والإجرام ، وجناح الأحداث ، والأمراض النفسية الجنسية ، والمشكلات الزواجية . وتعرف أيضا باسم الاضطرابات النفسية الاجتماعية Psychosocial Disorders .

والمرض النفسى الاجتماعى سلوك سالب واضطراب هدام ، يهدد أمن الفرد والمجتمع . وتعتبر الأمراض النفسية الاجتماعية **من مهددات الأمن النفسى الاجتماعى** ، حيث أن الذين يعانون من هذه الأمراض – من ذوى السلوك المضاد للمجتمع – يمثلون خطرا على أنفسهم وعلى الآخرين ، ويكونون عنصر توتر وقلق واضطراب وتهديد للأمن فى المجتمع . وهم يصنفون ما بين معتد أثيم ، ومدمن محطم ، ومغترب منعزل ، ومجرم عات، وجانح ضال ، ومنحرف جنسيا ، ومشكل زواجيا . وهم **فاقد بشرى** بالنسبة لعملية البناء الاجتماعى الاقتصادى السليم ، بل إنهم معاول هدم لأنفسهم وللمجتمع .

والاضطرابات والأمراض النفسية الاجتماعية فى تزايد يدعو إلى القلق . ويلاحظ هذا التزايد فى انتشار الجناح والجريمة والإدمان وخاصة فى مرحلة الشباب (إيريك فومبون Fombonne ، ١٩٩٨) .

ويوسع البعض مجال الاضطرابات النفسية الاجتماعية ، ويضيقه البعض ، فالذين يضيقونه يركزون على المشكلات النفسية الاجتماعية Psychosocial Problems (لورا مكلوسكـــــى ، وكارين سوثويـــك McCloskey & Southwick ، ١٩٩٦) ، والذين يوسعونه يجعلونه يضم بعض الأمراض العُصابية مثل القلق والخُواف وعُصاب الوسواس والقهر ، وهذا ليس بشائع كثيرا (بيتر فيرهاك Verhaak ، ١٩٨٦) . وقد تجنبت المؤلفة ذكر مثل هذه الأمراض العُصابية ضمن الاضطرابات النفسية الاجتماعية .

العلوم التى تهتم بدراسة الأمراض النفسية الاجتماعية :

لقد دفعت أهمية وخطورة الأمراض النفسية الاجتماعية الكثير من العلماء والمدارس العلمية المختلفة لدراستها فى معظم المجتمعات ، وذلك لتعرَف أسبابها ، وتحليلها ، ووضع برامج إنمائية ووقائية وعلاجية لهذه الأمراض .

ولقد كرَس علماء النفس ، والتربية ، والاجتماع ، والطب ، والاقتصاد ، والوراثة ، والقانون جهودهم فى دراسة واستكشاف الأسباب الرئيسة التى تدفع مثل هؤلاء الأفراد الذين يمثلون شريحة ليست بالقليلة فى المجتمع لمثل هذا السلوك المضاد للمجتمع .

ويوجد فى الساحة العلمية العديد من **الدوريات العلمية المتخصصة فى الاضطرابات النفسية الاجتماعية** ، أهمها :

Addiction.

Addiction Research & Theory.

Adicciones.

Aggression & Violent Behavior.

Aggressive Behavior.

Alcohol Health & Research World.

Alcoholism Treatment Quarterly.

American Journal of Drug & Alcohol Abuse.

American Journal on Addictions.

Archives of Sexual Behavior.

Behavioral Disorders.

British Journal of Criminology.

Contemporary Drug Problems.

Crime & Delinquency.

Criminal Behaviour & Mental Health.

Deviant Behavior.

Drug & Alcohol Dependence.

Drug & Alcohol Review.

International Journal of Offender Therapy & Comparative Criminology.

Journal of Addictions & Offender Counseling.

Journal of Addictive Diseases.

Journal of Affective Disorders.

Journal of Aggression, Maltreatment & Trauma.

Journal of At-Risk Issues.

Journal of Child & Adolescent Substance Abuse.

Journal of Contemporary Criminal Justice.

Journal of Criminal justice.

Journal of Emotional & Behavioral Disorders.

Journal of Family Violence.

Journal of Gay & Lesbian Psychotherapy.

Journal of Homosexuality.

Journal of Interpersonal Violence.

Journal of Offender Rehabilitation.

Journal of Psychology & Human Sexuality.

Journal of Research in Crime & Delinquency.

Journal of Scandinavian Studies in Criminology & Crime Prevention.

Journal of Sex Research.

Journal of Social Work Practice in the Addictions.

Journal of Studies on Alcohol..

Journal of Substance Abuse.

Journal of Substance Abuse Treatment.

Legal & Criminological Psychology.

Psychology of Addictive Behaviors.

Sexual Addiction & Compulsivity.

Sexualities.

Studies in Conflict & Terrorism.

Substance Use & Misuse.

Theoretical Criminology.

Violence Against Women.

Violence & Victims.

وفيما يلى نبذة موجزة عن كل مجال من المجالات القريبة من الأمراض النفسية الاجتماعية والتى تؤثر أو تتأثر عن طريق مباشر أو غير مباشر .

(شكل ١) العلوم التى تهتم بدراسة الأمراض النفسية الاجتماعية

علم الوراثة :

اهتم علماء الوراثة بدراسة الأمراض النفسية الاجتماعية ، ويتمثل ذلك فيما يعرف باسم **النظرية الحيوية التى تربط بين الجريمة والوراثة** .

ويقول علماء الوراثة إن السبب الأساسى للاضطراب أو المرض أو الجريمة هو **وجود صفات أصيلة فى الفرد تأتيه بالوراثة** ، وأن الميول والاتجاهات العدوانية المنحرفة تصل إلى الفرد عن طريق الوالدين والأجداد. وقد دلل علماء الوراثة على صدق نظريتهم فى **توريث الجريمة** بعدد من الأمثلة الملموسة والتى تؤكد أن المريض المجرم إنما هو نتاج لعائلة أغلب أفرادها من المجرمين الخارجين على القانون .

ولقد فسر أحد علماء الوراثة الجريمة على أساس معين من **العوامل الوراثية** ، وأن الوراثة تلعب دورا رئيسا فى تحديد السلوك غير الاجتماعى ونوعه فى الفرد (محمد على حسن ، ١٩٧٠ ، أنور الشرقاوى ، ١٩٧٧) .

ويلاحظ أن الاتجاه السائد فى القرن التاسع عشر كان هو **الاتجاه البيولوجى الوراثى** فى الفكر العلمى ، وكان أصحاب هذا الفكر يرون أن الانحرافات السلوكية ترجع إلى عوامل وراثية أو إلى اضطرابات عصبية تكوينية .

ومن أهم الأطر الفكرية التى أكدت الاتجاه البيولوجى **مدرسة سيزار لومبروزو** Lombrozo – التى ربطت بين بعض الخصائص الجسمية والخلقية خاصة فى الوجه والجمجمة ، وبين أنواع من الضعف العقلى والاضطرابات السلوكية أو أشكال الانحراف . ويقول أصحاب هذه المدرسة

إن المجرمين يمكن تمييزهم عن غيرهم من الأشخاص على أساس مختلف جوانب الشذوذ التشريحية مثل صغر حجم الجمجمة وكبر الأذنين وضخامة الفكين وبروز عظام الخدين وضيق الجبهة وانحدارها إلى جانب الخصائص الجنسية الثانوية الشاذة . وهذه السمات الشاذة هى التى تميز النمط الإجرامـــى . وتعرف هذه باسم " النظرية الجسمية " . ويقول أصحاب هذه النظرية إن المجرمين يتميزون عن غيرهم بسمات يمكن ملاحظتها فى بيئتهم الخاصة . ويوجه إلى هذه النظرية بعض النقد لترجيحها العوامل على العوامل النفسية والاجتماعية (محمد شحاتة ربيع وآخرون ، ١٩٩٤) .

وتجتهد " **النظرية الحيوية** " فى ربط الجريمة بالوراثة ، فالسبب الواضح للجريمة عند أصحابها هو صفات متأصلة فى الفرد تأتيه بالوراثة ، وميوله الإجرامية يرثها من والديه وأجداده .

ومن أهم **الانتقادات التى وجهت لهذه النظرية** أنها تفتقر إلى الشمولية ، وأنها أرجعت الانحراف أو الاضطراب كلية إلى عوامل الوراثة خاصة الاستعداد الفسيولوجى ، وأغرقت فيما يسمى " الحتمية البيولوجية " ، بينما أهملت عامل البيئة وأثره فى تحديد السلوك ، فمن الصعب تقبل فكرة وراثة السلوك الإجرامى من خلال الجينات لأن الجريمة ظاهرة لها جوانبها الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية . ومن أوجه النقد أيضا أنها قامت على ملاحظة الفرد فقط وليس على التجريب ، كما لم تهتم بالتفسير النفسى الدينامى للسلوك المنحرف ، ولا بالتنظيم الانفعالى للدوافع التى يمكن أن تكمن وراء أساليب التوافق السيئ (محمد شحاتة ربيع وآخـــرون ، ١٩٩٤) .

علم الاجتماع :

يقول علماء الاجتماع إن الأمراض النفسية الاجتماعية **ظاهرة اجتماعية فى جوهرها وأصولها ، ونفسية فى أعراضها وتفسيرها** .

ويرجع بعض علماء الاجتماع – وخاصة علم الاجتماع الجنائى – اضطرابات السلوك الاجتماعى إلى **التغير السريع الذى يصيب المجتمعات** ، والبعض الآخر ينظرون إلى بعض أشكاله على أنها نتاج تفاعل الفرد مع البيئة الاجتماعية بكافة مؤسساتها ونظمها ، والتى تؤثر فى توافق الفرد أو جنوحه أثناء عملية التنشئة الاجتماعية .

كما اهتم علماء الاجتماع بدراسة الأمراض النفسية الاجتماعية **من زاوية ما يحدث فى المجتمع** من حالات الطلاق ، والتفكك الأسرى ، وتعدد الزوجات ، والبطالة ، والفقر .

ولقد وجه علماء الاجتماع الأنظار إلى أهمية عملية **الاضطراب السلوكى الناشئ عن البيئة** دون تدخل من العمليات أو الأساليب النفسية العميقة المعقدة والتى تلعب دورها على مسرح اللاشعور .
(محمد على حسن ، ١٩٧٠)

علم الاقتصاد :

يهتم علماء ورجال الاقتصاد بالانحرافات السلوكية اهتماما خاصا من خلال نظرتهم إلى الإنتاج ، **وعملية الإنتاج** والعوامل التى تؤدى إلى تقدمه ونموه وتنميته أو العوامل التى تسبب إعاقته . فمشكلة الأحداث الجانحين

تتعلق بوجود أيد معطلة لا تنتج بل تستهلك دون عائد لها . ولا شك أن **القلق والاضطراب النفسى** لدى الذين يعانون من الأمراض النفسية الاجتماعية لا يساعدهم على الاستقرار فى مهنة أو عمل ويجعلهم لا يقدمون على برامج التدريب المهنى .

ويفسر بعض علماء الاقتصاد الأمراض النفسية الاجتماعية بأنها **اضطرابات سلوكية تتعلق بالعوامل الاقتصادية** التى تسهم إلى حد كبير فى التأثير على سلوك الفرد وتكوين اتجاهاته وقيمه ، وتحديد سمات شخصيته ، وكذلك فى تكوين الطبقات الاجتماعية وتحديد سماتها ومميزاتها ، ومدى التماسك الاجتماعى بين الطبقات المختلفة داخل المجتمع .

علم الإحصاء :

اهتم علماء الإحصاء – وخاصة علم الإحصاء الاجتماعى – بالأمراض النفسية الاجتماعية بوصفها ، وبيان خصائصها ، والفئات العمرية التى تحدث فيها . ويتمثل إسهام علم الإحصاء فى **جمع البيانات والإحصاءات عن هذه الأمراض** من جميع جوانبها ، وكذلك اهتم علماء الإحصاء بمدى انتشار الأمراض النفسية الاجتماعية (محمد على حسن ، ١٩٧٠) .

علم القانون :

تشغل معظم الأمراض النفسية الاجتماعية بصفة خاصة فكر رجال القانون ، بل إنها **تحتل مكانة هامة فى النظام القانونى** لكثير من الدول . والأمراض النفسية الاجتماعية وإن كانت ليست ذات طبيعة قانونية خالصة ، وترتبط بظروف اجتماعية معينة ، فإن رجال القانون يرون أن أى نظام

يوضع لحلها لابد وأن يأتى عن طريق تكامل وتفاعل مجموعة من الأسس والنظم المختلفة من تعليمية ووقائية . كذلك يرى رجال القانون أن الجريمة أو المخالفة التى يرتكبها الجانح أو المدمن أو المنحرف جنسيا لا يجب أن توضع وحدها موضع الاعتبار ، بل يجب أيضا معرفة الدرجة ومدى الحالة وشدتها وخطورتها فى ضوء العوامل الثقافية والبيئية والاجتماعية التى توضع فى ظلها التشريعات والقوانين للضوابط الأمنية والجنائية (محمد على حسن ، ١٩٧٠) .

ويهتم **علم العقاب أو علم القصاص** Penology ببحث الإجراءات التى تمنع السلوك الإجرامى المضاد للمجتمع ومكافحة كافة أشكال الجناح والسلوك الإجرامى ، وضبط الجريمة والعقوبات الرادعة ، ومدى ملاءمتها وصلاحيتها ، وعلاج الانحرافات ، وإصلاح المجرمين وتهذيبهم وتأهيلهم حتى يعودوا أفرادا نافعين لأنفسهم وللمجتمع (محمد شحاتة ربيع وآخرون ، ١٩٩٤) .

وحين تنظر المحاكم جرائم مرتبطة بالأمراض النفسية الاجتماعية فإنها تحاول تقدير مسئولية المجرم والعوامل الفعالة فى سلوكه ، ولذلك يعرض المجرم على مجموعة من المختصين فى العمليات النفسية والاجتماعية تسبق مثوله أمام المحاكم مثل : الملاحظة والمراقبة النفسية الاجتماعية ، والهدف منها معرفة الكثير من العوامل التى تتعلق بشخصية المجرم وتقدير مختلف العوامل والظروف التى تدخل فى تكوينها ، ومدى إمكانية إعادة توافقه النفسى الاجتماعى ، ولذلك تغير مفهوم العقوبة ، وأصبح المراد بها تأثير تربوى عميق فى المستوى الأخلاقى والاجتماعى والمهنى .

علم النفس :

إذا كان علم النفس هو العلم الذى يهتم بدراسة سلوك الإنسان ، وإذا كان القانون هو العلم الذى يضع قواعد سلوك الإنسان ، فإن **علم النفس الجنائى** Criminal Psychology هو العلم الذى يمثل الأرضية المشتركة بينهما ويهتم بدراسة السلوك الإنسانى فى إطار تعامل هذا السلوك مع القانـــون ، ويهتم بتطبيق المعارف النفسية فى المجال الجنائى ومعالجة الجريمة كظاهرة نفسية ترجع إلى سوء توافق الفرد مع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها . وهكذا يهتم علم النفس الجنائى بتطبيق مبادئ علم النفس فى المواقف التى يتعامل فيها الإنسان مع القانون (محمد شحاتة ربيع وآخرون ، ١٩٩٤) .

ولقد اهتمت **مدارس علم النفس المختلفة** بالأمراض النفسية الاجتماعية والانحرافات السلوكية . وحاول علماء النفس مواجهة وحل المشكلات التى تتعلق بالإصابة بالمرض النفسى ، وغير ذلك من ألوان الانحرافات والاضطرابات ، بل اهتم بعضهم بمشكلات انحراف السلوك وخاصة المشكلات الانفعالية التى قد تنتج إما بسبب تغير مطالب الحياة أو تغير اتجاهات الآباء نحوها .

وفيما يلى نبذة سريعة عن **وجهة نظر كل مدرسة فى الأمراض النفسية الاجتماعية** بصفة عامة .

اهتمت **مدرسة التحليل النفسى** وعلى رأسها سيجموند فرويد Freud بغريزتين فطريتين هما : غريزة الحياة ويشتق منها الغريزة الجنسية ،

وغريزة الموت ويشتق منها غريزة العدوان . فأما عن الغريزة الجنسية فهى تلعب دوراً خطيرا فى تحديد سلوك الفرد واتجاهاته فى مختلف أدوار حياته ملازم له للمحافظة على حياته ، وتأكيد وجوده ، وغريزة العدوان ، ووظيفتها المحافظة على الفرد وإشباع حاجاته . ويظهر العدوان عندما لا تشبع الحاجات وتكبت ، كما يظهر أيضا فى أى صورة من صور تأكيد الذات . والفشل فى تأكيد الذات يؤدى إلى : المرض النفسى أو الجنوح والجريمة .

وهناك **تفسير قدمه فرويد للسلوك الإجرامى** يتمثل فى أن المجرم يعانى من حاجة ملحة للعقاب لكى يتخلص من مشاعر الذنب التى نشأت من مشاعر لاشعورية مدمرة أثناء الطفولة . فالجرائم ترتكب من أجل نيل العقاب الذى يجعل المجرم قادرا على التخلص من مشاعر الذنب التى عانى منها فترات طويلة . وهكذا يتجه الفرد إلى ارتكاب الجريمة لكى ينال العقاب المقرر لها بالقانون ، ولهذا فغالبا ما يترك الجانى وراءه – لاشعوريا – بعض الدلائل المادية التى تقود رجال الشرطة إلى القبض عليه وإحالته للمحاكمة وإدانته وعقابه على جريمته . وهذا هو كل ما ينشده إليه المجرم ، إذ هو يسعى إلى عقاب النفس وإيلامها ليتخفف من وطأة عقدة الذنب التى تلازمه ، والتى لم يجد وسيلة أخرى لحلها غير السلوك الإجرامى المضاد للمجتمع (محمد شحاتة ربيع وآخرون ، ١٩٩٤) .

وقد اهتمت **مدرسة التحليليين المحدثين** بدراسة الانحراف وتفسير السلوك ، وهذا يبدو واضحا فى اتجاهات كل من ألفريد أدلر Adler وإيريك فروم Fromm ، وكارين هورنى Horney ، وأوتو رانك Rank .

واهتم بعضهم فى تفسير السلوك **بالناحية الثقافية فى خلق الاضطرابات والانحرافات** ، وكذلك أثر العوامل الاجتماعية فى اكتساب القلق ، ويرون أن السلوك المضاد للمجتمع أسلوب توافق للقلق ، ويربطون بين أشكال الانحراف وبين الحاجة للتملك والشهرة ، والسيطرة والحب ، مما يزيد القلق ونقص الأمان .

وينظر **علماء التحليل النفسى** أيضا **إلى** الانحراف وأشكاله المختلفة نظرة تتفق مع اتجاههم التحليلى العام إذ ينظرون إلى " الهرب " مثلا على أنه حيلة دفاعية ضد القلق . ومن أمثلة ذلك أن الهرب يكون فى حالة القسوة الزائدة عند الجانحين حيلة هروبية من العقاب .

وقد تأثر معظم من درسوا الأمراض النفسية الاجتماعية بآراء مدرسة التحليل النفسى ، ووجهوا النظر إلى العناية بالتربية والتنشئة الاجتماعية ، وحياة الطفل الانفعالية ، وتاريخ الأسرة .

أما **مدرسة " التحليل العاملى "** ، فقد اهتمت بسمات الشخصية اللاسوية ، ودراستها ، وقياسها ، ومحاولة الوصول للنمط الذى تسير عليه فى تجمعاتها . ومن أنصار هذا الاتجاه سيريل بيرت Burt ، وريموند كاتيـل Cattell ، وهانز أيزينك Eysenck . واهتم علماء هذه المدرسة بقياس **أبعاد شخصية المضطرب سلوكيا** دون عناية كبيرة بالكثير من العوامل الاجتماعية أو الدينامية لتكوين هذه السمات فى شخصية المضطرب سلوكيا ، ووصفوا **سمات المضطرب سلوكيا** ، ومنها : عدم الاستقرار الانفعالى ، والقدرة على الكبت ، والقلق ، والانقباض ، واهتموا بأثر الظروف الاجتماعية وعلاقة الفرد بالمجتمع . ولفت علماء هذه المدرسة الأنظار إلى

العوامل المتضمنة فى **عملية التنشئة الاجتماعية** ، **والعلاقات بين الوالدين** فى تفسير الأمراض النفسية الاجتماعيـــة .

ولقد كان **الاتجاه " النفسى الاجتماعى "** فى تفسير الأمراض النفسية الاجتماعية وأثرها واضح فى التوصل إلى نتائج أفضل . ولقد استفاد هذا الاتجاه من **ثلاثة مصادر** هى :

- الدراسات النفسية الاجتماعية .
- دراسات الطب النفسى .
- الدراسات النفسية الدينامية (المدرسة السلوكية الجديدة) .

وتهتم الدراسات الحديثة ببيئة المضطرب سلوكيا ، وتعتبرها جانبا من مشكلة اجتماعية أكبر . لذلك لم يعد الاهتمام مركزا على الآثار اللاشعورية بين الطفل ووالديه ، أو على القوى الليبيدية (كما فى مدرسة التحليل النفسى) باعتبارها مسئولة عن خلق الاضطرابات والانحرافات ، بل تركز الاهتمام أيضا عن المشكلات النفسية الاجتماعية وآثارها على العلاقات الأسرية ، ثم فى توجيه شخصية المضطرب سلوكيا .

واهتم **العلاج النفسى** بالموضوعات والمؤثرات النفسية الاجتماعية المختلفة فى وجود الاضطرابات النفسية الاجتماعية عند الأطفال ، ومنها موضوعات مثل : الحرمان من الرعاية الوالدية ، وخاصة الأم ، أو رفض الوالدين للطفل .

وتفسر **" المدرسة النفسية الاجتماعية "** الأمراض النفسية الاجتماعية على أنها تنتج عن الضغط النفسى والإحباط المتكرر مما يخلق أشكالا عديدة

للسلوك اللاسوى . ويرى علماء كثيرون ، ومنهم روبرت واطسون Watson أن الإحباط يؤدى إلى العدوان ، وأن العلاقة وثيقة بين إحباطات الطفولة والاضطرابات الانفعالية ومشكلات التوافق فى المراهقة وما بعدها . وتؤكد المدرسة النفسية الاجتماعية أيضا أن دراسة المرض النفسى الاجتماعى توجب **الاهتمام ببيئة المريض** باعتبار أن السلوك المشْكل جانب من مشكلة اجتماعية كبيرة . كذلك اهتمت هذه المدرسة بإبراز أثر المشكلات الاجتماعية والأوضاع الثقافية فى العلاقات الأسرية وفى تنظيم الشخصية وفى آثارها اللاشعورية على الفرد نفسه. وفى " **البحث الاجتماعى النفسى** "، بدأ الاهتمام بالأساليب التربوية الحديثة واتجاهات الآباء نحو الأبناء يأخذ مرتبة متقدمة فى تفسير ديناميات الاضطرابات السلوكية .

وتؤكد **نظرية التعلم الاجتماعى** أهمية التفاعل بين الفرد والبيئة ، فى محاولة لتحديد الظروف التى يتم فى ظلها انتهاك القانون ، مع التركيز على التعلم بالقدوة أو النمذجة التى قدمها ألبيرت باندورا Bandura فى تعلم سلوك مثل العدوان الذى يتم خلال مشاهدة سلوك الآخرين ، مثل سلوك الوالدين بصورة عدوانية ، وتشجيع أولادهم ليقلدوا مثل هذا السلوك العدوانى مع أقرانهم خارج المنزل . وهذا النمط من السلوك يجعل الأولاد يظهرون عدوانا بسيطا داخل المنزل وعدوانا شديدا أثناء تفاعلهم مع زملائهم فى المدرسة .

أما " **المدرسة السلوكية الجديدة** " فقد اهتمت بتفسير بعض الأمراض النفسية الاجتماعية فى ضوء عملية التنشئة الاجتماعية وأثرها فى إكساب معايير السلوك والاتجاهات وتعليم القيم ، ويرى أصحاب هذه

المدرسة أن المضطرب سلوكيا (كالمجرم الجانح) شخص يعانى نقصا فى عملية التعلم ، وأنه لا يستجيب لعوامل الضبط الخارجى التى يمكن أن تحول بينه وبين عدوانه الموجه للخارج . وتفسر المدرسة السلوكية الجديدة معظم الاضطرابات النفسية الاجتماعية بأنها استجابة نمطية مدعمة للتوتر والقلق الناجم عن استمرار الإحباط .

أما عن وجهة نظر " **نظرية الذات** " – وعلى رأس علمائها كارل روجرز Rogers – فإنها تتلخص فى أن الانحراف يحدث إذا جهل الفرد خبراته الحقيقية وأنكر رمزيتها وتصرف بأساليب سلوكية غير متطابقة مع الذات . والخبرات التى لا تتطابق مع مفهوم الذات أو التى تتعارض مع المعايير الاجتماعية تدرك على أنها مهددات لذاته ويضفى عليها قيمة سالبة . وعندما تدرك الخبرة على هذا النحو تؤدى إلى تهديد وإحباط مركز الذات والتوتر والقلق وسوء التوافق النفسى وتنشيط وسائل الدفاع (جمود الإدراك وتشويه المدركات والإدراك غير الدقيق للواقع) . وهكذا ، يكون الفرد – فى ضوء نظرية الذات – معرضا للقلق وللانحراف فى أشكال فى الظروف الآتيـــة :

- نقص قدرة الفرد على التمييز بين بعض الأشياء الخاصة به ، والخاصة بالآخرين .
- إدراك القيم المرتبطة بالخبرات المنعكسة أو المأخوذة من الآخرين بصورة مشوهة أو محرّفة .
- عدم تطابق الذات مع الحقيقة والواقع .
- اختيار الفرد لأساليب سلوكية لا تتفق مع مفهومه عن ذاته .

(حامد زهران ، ١٩٩٧)

ويحدث **سوء التوافق النفسى** عندما يكون مفهوم الذات عند الفرد غير متطابق مع الخبرات الحسية والحشوية لديه ، أو عندما لا تتشابه على مستوى رمزى فى علاقات متوافقة مع مفهوم الذات ، مع نقص إدراك الفرد لذاته إدراكا سليما ، الأمر الذى يؤدى إلى نقص فهم الآخرين ، وبالتالى إلى عدم تقبلهم .

وهكذا ، يلاحظ أن **مجالات علم النفس المتعددة تلقى الضوء على الأمراض النفسية الاجتماعية** ، وتدخلها ضمن أهم محتوياتها ، ومنها علم النفس الاجتماعى ، وعلم النفس الجنائى ، وعلم النفس العلاجى ، وعلم النفس الإرشادى .

وخلاصة القول إن الفرد الذى يعانى من المرض النفسى الاجتماعى لا يعيش فى عالم تحكمه خصائصه الحيوية أو فى عالم من الحاجات المادية والنظم الاجتماعية فقط ، بل يعيش فى عالم من القيم والاتجاهات النفسية الاجتماعية ومعايير السلوك المشتقة من الدين والقانون والعرف ، ومن العلاقات الإنسانية ، وهذا كله لا يمكن فهمه أو إدراكه إلا فى ضوء مفاهيم علم النفس . ويلاحظ أن السلوك غير الاجتماعى يدل على أن العمليات النفسية التى تحدد السلوك لا تعمل منسجمة أو متوائمة مع بعضها ، وبهذا يعتبر الاضطراب السلوكى مظهرا لعملية دينامية ترجع إلى تفاعل القوى النفسية والاجتماعية التى أدت إلى سوء التوافق النفسى وإلى هذا الاضطراب أو الانحراف والذى يطلق عليه " **السلوك المضـــاد للمجتمع** " Antisocial Behaviour .

(محمد على حسن ، ١٩٧٠ ، حامد زهران ، ١٩٩٧) .

أسباب الأمراض النفسية الاجتماعية :

تتعدد أسباب الأمراض النفسية الاجتماعية وتتضافر وتتكامل ، وهى كما يلى :

الأسباب الحيوية :

تتمثل أهم الأسباب الحيوية التى تؤدى إلى الأمراض النفسية الاجتماعية فى : الاضطرابات الفسيولوجية (من بداية الحمل حتى الشيخوخة) ، والوراثة ، والبنية (التكوين) ، والعوامل العضوية مثل الأمراض والتسمم ، والإصابات والعاهات والعيوب والتشوهات الخلقية . ويؤكد روبرت بلومين Plomin (١٩٩١) أثر العوامل الجينية Genetic Factors فى الاضطرابات النفسية الاجتماعية ، وبصفة خاصة جناح الأحداث والجريمة والإدمان .

الأسباب النفسية :

أهم الأسباب النفسية التى تسبب الأمراض النفسية الاجتماعية هى : الصراع ، والحرمان ، والإحباط ، والعدوان ، وحيل الدفاع النفسى الفاشلة ، والخبرات السيئة الصادمة ، والعادات غير الصحية ، والإصابة بالمرض النفسى ، وقصور النضج النفسى .

الأسباب الاجتماعية :

توجد أسباب اجتماعية تتضافر مع الأسباب الحيوية والأسباب النفسية وتؤدى إلى حدوث الأمراض النفسية الاجتماعية ، وأهمها :

- **البيئة الاجتماعية** : تؤثر عوامل البيئة والوسط الاجتماعى الذى يتحرك فيه الفرد فى تشكيل ونمو شخصيته وتحديد حيل دفاعه النفسى عن طريق نوع التربية والضغوط والمطالب التى تسود فى البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها . ويلاحظ أن البيئة التى تربى فيها الفـرد ، والمؤثرات التى خضـع لها منذ طفولته تحدد سمات شخصيته سواء كانت سوية أو لا سوية . كما تتفاوت نسبة المرض النفسى فى البيئة الحضرية أو الريفية ، الغنية أو الفقيرة . ومن أهم العوامل المسببة للاضطرابات النفسية الاجتماعية الأحوال الاجتماعية والبيئية السيئة ، وانخفاض مستوى التعليم وتدنى المستوى الاجتماعى الاقتصادى (سيفا وآخرون .Seva et al ، ١٩٩٠) .
- **العوامل الحضارية الثقافية** : وهى تمثل عوامل هامة فى حدوث المرض النفسى الاجتماعى ، وخاصة الاضطرابات النفسية الجنسية والمشكلات الزواجية والإدمان والجريمة وجناح الأحداث . ومن أمثلة العوامل الحضارية الثقافية : الثقافة المريضة حيث التعقيد الثقافى ، ورفض الثقافة التى يعيش فيها الفرد ، وعدم تطابق شخصيته معها ، ووجود اتجاهات وأفكار شائعة عن الاضطرابات النفسية الاجتماعية . كذلك يلعب التطور الحضارى السريع المتمثل فى سيطرة التكنولوجيا وهيمنة الآلة وتعقد الحياة الصناعية وعصر السرعة وتعقد القوانين وتعدد المسئوليات الاجتماعية والسماوات المفتوحة والثقافة الواردة أو المستوردة دورا هاما فى إحداث الأمراض النفسية الاجتماعية .

(إسيدور أوبوت Obot ، ١٩٨٩ ، هينريت ديديلون وآخـــــرون .Didllon et al ، ١٩٨٩ ، موريريوا وآخـرون .Mureriwa et al ، ١٩٨٩) .

• **اضطراب التنشئة الاجتماعية** : لا شك أن التنشئة الاجتماعية غير السوية تسبب إحباطات وصراعات وحرمانات وتوترات لدى الفرد . ومن أمثلة اضطرابات التنشئة الاجتماعية التى تسبب الأمراض النفسية الاجتماعية ما يلى :

- **سوء التوافق الأسرى** : حيث تضطرب العلاقات بين أفراد الأسرة .
- **سوء التوافق المدرسى** : حيث تضطرب العلاقات بين الطالب ومعلميه ورفاقه .
- **سوء التوافق الاجتماعى** : حيث المجتمع المريض الذى يسود فيه الحرمان والفراغ والإحباط وعدم الأمن والمشكلات والتفرقة وصراع الأدوار والتسيب .
- **سوء التوافق المهنى** : حيث توجد مشكلات سوء الاختيار المهنى ، وفرض المهنة على الفرد ، وسوء العلاقات مع الزملاء والرؤساء والمرؤوسين وظروف العمل السيئة والبطالة .
- **سوء الأحوال الاقتصادية** : حيث الهزّات والكوارث الاقتصادية وصعوبة الحصول على ضروريات الحياة من مأكل وملبس ومسكـــن .
- **الصحبة السيئة ورفاق السوء** : وهؤلاء قد يورطون الفرد فى السلوك المنحرف .
- **الكوارث الاجتماعية** : وخاصة الكوارث المدمرة التى تسبب البطالة والمجاعات وتفشى الأمراض . وتسبب حالات الحرب الكثير من عدم التقيد بالمعايير الاجتماعية السائدة مما يتيح فرص ظهور الاضطرابات النفسية الاجتماعية .

- **الضلال** : ويتضمن ضعف الإيمان ، والانهيار الخُلقى ، وتدهور نظام القيم .

(جليل شكور ، ١٩٩٨)

أعراض الأمراض النفسية الاجتماعية :

تتمثل الأعراض النفسية فى : اضطرابات الإدراك ، واضطرابات الانفعال ، واضطرابات الذاكرة ، واضطرابات الكلام ، واضطرابات الانتبـــاه ، واضطرابات الإرادة ، واضطرابات النوم ، واضطرابات المظهر العام . ومن الأعراض النفسية أيضا مفهوم الذات السالب وتشوه صورة الذات ، وتبرير السلوك المنحرف ، وانخفاض القدرة العقلية العامة ، وقصور الذكاء الاجتماعى ، ونقص الذكاء الانفعالى ، والاندفاع ، والقابلية للإيحاء ، وعدم ضبط النفس ، والشغب والتمرد والعناد .

وتتمثل الأعراض الاجتماعية فى : قصور النضج ، وسوء التوافق الاجتماعى ، وعدم القدرة على مقابلة مطالب البيئة ، والشعور بالرفض والحرمان ، وعدم الأمن ونقص الحب ، وسوء فهم الآخرين ، واضطراب العلاقات الاجتماعية فى الأسرة ، والمدرسة ومع الرفاق ، والطلاق ، والعزوبة ، والانحراف .

الوقاية من الأمراض النفسية الاجتماعية :

الوقاية من الأمراض النفسية الاجتماعية عملية كبيرة واسعة النطـــاق ، متعددة الجوانب ، ويجب أن **تتضافر فيها جميع الجهود فى أكثر من مجال وأكثر من تخصص** .

وتتمثل أهم الإجراءات الوقائية فيما يلى :

- فهم طاقات الفرد ، ومساعدته فى تعرف شخصيته وتنمية قدراته النفسيـــة الاجتماعية ، وتقبل أوجه قصوره .
- إمداد الفرد بالخبرات التى تكفل تحقيق ذاته ، وتيسير أوجه النشـــاط البنّاء ، وترشيد وقت الفراغ .
- إعداد برامج إرشادية وقائية تتناول عملية التنشئة الاجتماعيـــــة وأساليب الرعاية الوالدية السليمة .
- الاستكشاف والتنبؤ المبكر بالانحراف وتحديد المعرضين للانحـــــــراف السلوكى حتى تتخذ الإجراءات الوقائية فى الوقت المناسب .
- توفير فرص العمل ، وضمان التوافق المهنى .

(محمد على حسن ، ١٩٧٠) .

والوقاية الأولية مهمة بصفة خاصة ، ولها نماذج تهدف إلى خفض معدّل الحالات الجديدة من الأمراض النفسية الاجتماعية ، وخاصة فى الفئات الأكثر عرضة لها ، ويحدث ذلك بخفض عوامل التوتر الحياتية ورفع مستوى الدعم النفسى الاجتماعى الذى يمكن الناشئ من الحياة السوية المتوافقة والراضية (جيرالد كابلان Caplan ، ١٩٩٤) .

وتركّز الوقاية الأولية على خفض تأثير مصدر الضرر حين توجه إلى مجموعات المعرضين للانحرافات النفسية الاجتماعية ، مثل أطفال الطلاق (أطفال أسر منهارة) وأطفال الشوارع (أطفال بلا مأوى) وأطفال القوارب (أطفال بلا منازل) .

ويؤكد مايكل روتر Rutter (١٩٩٥) **دور الأسرة والمدرسة ، ومؤسسات رعاية الشباب ، ومراكز إرشاد الصحة النفسية فى الوقاية من** الاضطرابات النفسية الاجتماعية .

ويوصى جيرالد كابـــلان ، وروث كابـــــلان Caplan & Caplan (١٩٩٩) **رجال القضاء** بالحساسية بالنسبة لقضايا **الأطفال** الذين يقعون فى دائرة الانحرافات النفسية الاجتماعية باعتبارهم أولا وأخيرا ضحايا يحتاجون إلى رعاية وتوجيه وإرشاد وعلاج .

ويؤكد جيرالد كابـــلان ، وروث كابـــــلان Caplan & Caplan (٢٠٠٠) ضرورة بناء **برامج نموذجية للوقاية الأولية** ، وخاصة مع المعرضين للاضطرابات والأمراض النفسية الاجتماعية .

علاج الأمراض النفسية الاجتماعية :

من أهم ملامح علاج الأمراض النفسية الاجتماعية ما يلى :

- **العلاج النفسى** : بالطرق المناسبة لكل حالة ، ولكل اضطراب . ومن أهـم الطرق المستخدمة : العلاج النفسى الفردى ، والعلاج النفسى الجماعى ، والعلاج الاجتماعى ، والعلاج الأسرى ، والعلاج النفسى الممركز حول الشخص ، والعلاج بالعمل ، والعلاج بالفن ، والعلاج النفسى الدينى . ويفيد العلاج السلوكى بصفة خاصة فى علاج الأمراض النفسية الاجتماعية باستخدام أساليبه وفنياته المتعـــددة . وكل هذه الطرق تهدف إلى تصحيح السلوك المنحرف ، وتعديل مفهوم الذات ، وعلاج الشخصية والسمات المرتبطة بالانحراف ، وحل الصراعات ، ومقابلة عوامل الإحباط ، وقهر دوافع العدوان ، وإشباع الحاجات . ويتطلب

العلاج النفسى إنشاء المزيد من العيادات النفسية المتخصصة لعلاج الأمراض النفسية الاجتماعيـــة . وتستخدم برامج التدريب على مهارات الحياة فى التعامل مع الاضطرابات النفسية الاجتماعية مثل جَناح الأحداث وحالات الإجرام وحالات الإدمان . وقد انتشرت فى الآونة الأخيرة عيادات خاصة بعلاج أمراض نفسية اجتماعية معينة مثل الإدمان . وقد ثبت عمليا أهمية اللعب الجماعى التعاونـــى / التنافســـى فى علاج الاضطرابات النفسية الاجتماعية (دافيد نيلسون ، وسيندى بيترسون Nelson & Peterson، ١٩٩١) .

- **العلاج البيئى** : وتعديل العوامل البيئية المسببة للأمراض النفسيـــة الاجتماعية ، وذلك عن طريق العلاج البيئى والاجتماعى ، وترشيد وقت الفراغ ، وتيسير وسائل الترفيه المناسب ، والرياضة والنشـــاط الاجتماعى . ويتطلب العلاج البيئى توفير الرعاية الاجتماعية للمريض فى الأسرة ، والمدرسة ، والمؤسسة التى يعمل بها ، واستخدام كافة إمكانات الخدمة الاجتماعية الميسرة فى المجتمع . (بروس ثير Thyer ، ١٩٩٥) .
- **العلاج الطبى** : حسب كل حالة ، وحسب كل مرض نفسى اجتماعـــى ، حيث يتم تناول وتصحيح وعلاج الجوانب الطبية .

هذا ، ويؤكد جوى دريفوس Dryfoos (١٩٩٣) **على دور المدرسة** فى الصحة الجسمية ، والصحة النفسية ، والصحة الاجتماعية للطلاب ، إلى جانب تربيتهم وتعليمهم ، وخاصة فى مرحلة المراهقة ، وقاية وعلاجا بخصوص الاضطرابات النفسية الاجتماعية .